

هذه التجربة فوجد النحل يذهب الى العسل الذي فوق الصندوق لا الى العسل الذي فوق لوح الزجاج ولكنه رأى ان النحل يهتدي الى الصندوق سواء كانت الآلة الموسيقية دائرة او غير دائرة اي سواء خرج منه صوت او لم يخرج فلم يكن ارتشاده اليه بالصوت . ويظهر لنا ان شكل الصندوق هو الذي هدى النحل الى العسل

ومن رأي بعض العلماء ان النمل والنحل يسمعان الاصوات العالية جداً التي لا يسمعاها الانسان وانه ان كان لها اصوات فتكون من هذا القبيل  
يمثل هذه المباحث يتسلّى عظام الامم الراقية مراقبي الفلاح . فهاذا يتسلّى عظامنا ياترى وهم احوج من غيرهم الى البحث عن شيء مفيد . في المقالة التالية المعنونة بشرف العمل يات  
كافي لما آلت اليه احوال قومنا وفي التي بعدها مثال ما تفعل المم اذا انفكت قيود الاوهام

## شرف العمل

من المشروعات المفيدة في هذه الديار ما قامت به جمعية "العروة الوثقى" في الاسكندرية من تأسيس مدرسة صناعية نسبتها الى "محمد علي" رأس الأسرة الخديوية . وقد دبت الايام ودرجت الشهور وما برحت المم متقاصرة والمبالغ التي جمعت لا تسد عوز النصف مما ينبغي لهذا المشروع الجليل

لا أشير الى نتيجة هذا العمل على فرض حصوله اذ ليس المقام مقام نبوات والمستقبل يكشف القناع عن وجه الحقيقة . وغاية ما ينبغي ان يقال في هذا الباب ان اهل هذه البلاد والمسلمون منهم خاصة لكثرة سوادهم احق الناس بالتوفر على مذاهب المعاش الثلاثة من زراعة وصناعة وتجارة والزهد في الإمارة او الاستخدام لانها ليست بمذهب طبيعي للمعاش

مضت قرون على قومنا حسبوا الخير يرمته محصوراً فيهم وان فضل الله لم يؤتوه ولن يؤتوه سوام وان عندهم كل شيء وان حسن اليقين والتسليم للاقدار يفنيانهم عن تعرف كل جديد . اغتروا وبيا لضيعة الآمال بظواهر الحلال ذاهبين الى ان الاغيار مهملوا بلغوا من درجات الرثي بفضل عقولهم لا يدركون شأوسلف هذه الامة في كل منفي من مناحي الحياة فاكثفوا من

ثم بعلالات هي بالاطفال التي منها بالرجال وبالام المائنة اشد طلاقة منها بالام الحية ولما انسال تيار الغرب على الشرق وامتنعني معظمه واستبيح حتى البقية او كاد اصبح القوم

يشمرون بان تلك الدعوي الطويلة العريضة على فرض صحتها لا طَوَّل فيها ولا طائل تحتها وان قد انقضى دور التعزّي بالاقتوال اذ هي لا تُعني غناء الافعال بجبال من الاحوال  
 بلغ اهل بعض البلاد هذا المبلغ من الفكر بعد إيقانهم بان من خرق الرأى ثقة المحكوم عليهم بحكامهم في كل شأن من شؤون الحياة لاسيما وقد اثبتت التجارب ان اغلبهم زعماء شهوات لا زعماء نهضات وامراء جيادات لا امراء زراعات وصناعات.

نعم ان ما قام من الحضارة في بعض ادوار الممالك الاسلامية كان بمحضات ملوك وامراء اوجدوا بعلمهم وعدلهم العالم والعامل فانقلب الامر الى ضدّه لما قضى عليهم حتى قيل "الدول اسواق يحمل اليها ما يروج فيها" ولكن من قال اتنا لم تكن في كل ايماننا اهل اتكال مجسم ولم يتجمل بان كل ما انت به الشريعة من الحث على السعي والتعلم لم تأخذ منه النفوس الا جهد طاقتها ومبلغ حاجتها

حاذر الاسلام من عواقب الكسل فحض على العمل ولم يأمر بالزهادة على النحل والذي عرفه المتأخرون المطلقون وجاء حاثاً على الاخذ من خيرى الدارين غير آسر بالخروج عن سنن الكائنات ولولا قواعد سنت اصلاح العمران ما وجدت في المسلمين من يقوم على زرع ارض او ايجاد صناعة وتجارة لكثرة ما دسه المشعوذون من الزهديات المتنبطات والخرافات الفسنيات بل ولولا الحاجة الطبيعية الدافعة في بعض اقطار المشرق ما رأيت من يفكر في استخراج البرّ من سابله او يحسن عمارة المساكن او يعرف نسج الثياب

ولذا نرى اكثر الفقهاء صبغوا القواعد العمرانية بصبغة دينية فقالوا ان الفلاحة والنساجة والبناية فرض على الكفاية. وقام بعد السلف خلف وهموا الدخول في غمار العاملين مزيّياً بصاحبه ان كان له ما يكفيه من حطام الدنيا. وقد اجمع علماء الاجتماع والدين ان كل عمل جسدياً كان او عقلياً لا ينلم شرف الاخذ نفسه به. وان كل ما ساع ربحه وجوزة قانون لا يعد الاشتغال به عمرة سيء وجوه الاحساب ولا مصبحة للاستعداد والكفايات ولا متلفة للقرايح والعقول. قال علي كرم الله وجهه اني لا ارى الرجل فيجبني فاقول انه صنعة فان قالوا لا سقط من عيني

سر هذا الخراب العظيم الذي تصاب به البيوتات في مصر والشام احتقار الاجداد والآباء للصناعات والزراعات والتجارات واكتفائهم من تربية ابنائهم بان يفرسوا في عقولهم حب الاحتفاظ بثرواتهم والاعتماد عليها وان احسن ما يعملونه بعد وفاة والديهم الجري على اتارهم. وقد رأينا كثيرين جزعوا من تبديد مخلفاتهم من بعدهم فاوقفوها ولكن ابنائهم وورثتهم نقضوا

ما ابرمه اولئك الموتون ونصرفوا فيها بما شاءوا  
ولعلم الآباء والاغنياء منهم خاصة ان خير ذخر يقوِّنه لاولادهم بث الممتلكات الصحيحة  
فيهم وان الثروة هي العمل وان الارض لا توجد الثروة ما لم تُبذل العناية في استثمارها واستثمارها  
وان الثروة ليست عبارة عن نقود ولا امتلاك عقارات وقرى للقتوا ابناءهم ما يرتفعون به عن  
الدينية اذا تجرَّءوا يوماً عمماً يملكونه

هذه الثروات الطائلة التي تضمحل كل يوم وتسبح من انبائها عجباً كانت بمأمن من غوائل  
التبديد لو عرف وارثوها قدر العمل وقيمة المال وطرق اكتسابه . وتدارك اهل الغرب سرَّ هذه  
القاعدة نراً يات ثبات من ييوتانهم في المانيا وانكلترا وفرنسا وغيرها من الممالك دامت لها النعمة  
عدة قرون ويطون على حين لم تنم نعمة بيت في بلادنا الا ثلاثة اجيال في الغالب  
ماذا اصاب سكان غربي آسيا وشمالى قارة افريقية حتى زهدوا في الصنائع وغالى كبرياؤهم  
في احتقارها فحقت الا بقايا تدل على التقدم دلالة الاثر على مؤثره . وليت شمري هل اضمحلت  
باسباب خارجية ام داخلية وجدت في جو البلاد من ظلم حكومة واشتطاط قانون وديانة تابد  
اهلها من لم يقولوا بقولهم وتمكث خرافات في النفوس حتى وصلت الى البلادة . ام عرت اهل  
البلاد اموراً طبيعية ربت فيهم الخمول وعششت الجبر المحض في قلوبهم فطفت جذوة العمل  
من رؤوسهم . وسكان الافطار الحارة على رأي العمرانيين تضعف قواهم العقلية والجسدية  
وتقلب عليهم الخفة والطيش فيطربون للجزئيات ويتأثرون بها ولا يكون للكليات ولا يحزنون عليها .  
وكما درت اخلاف الطبيعة وامرعت اكناف الغبراء بخيرات الخضراء واصبح الرزق ميسوراً  
اخضب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

فاذا كان هذا هو الداعي لفقدان الصنائع وانحلال الاجسام بحيث بعدت عن العمل فلم  
لم يُصب سكان الشمال الغربي من آسيا وان شئت فقل الشمال الشرقي بما اصنابوا منذ قرون  
وبلادهم ليست دون بلادنا بحرارتهما متشابهة بطبائع اقاليمها واهلها . وها اتنا نرى الغرب وهم  
اخواننا في الانحطاط لم يزلوا متوفرين على الصنائع شأنهم في القديم وامتازوا بها على مجاورهم  
امتياز الانكليز على جميع امم الغرب يملهم الى الصناعات قديماً وحديثاً مما دعا الى تقدمهم  
اشواطاً الى الامام فصاروا كالطلّاح من جيش المشاركة وغيرهم كالتواعد والمخلفين

وبلغنا لهذا العهد عن اهل الطبقة العالية في ايران وبيخارى والافغان انهم يقضون  
الساعات في عمل ما من فجارة وحدادة وحياسة ورسم وخط ونقش وحفر وغيرها يتلهون بها  
ويعودون بالمران عليها عضلاتهم وان لم يتوقع أكثرهم منها نفعاً مادياً شأن اغنياء الغرب لمهدنا

فانه لا بد لكل واحد منهم ان يخصص بصناعة تفيد مجتمعه وتؤدي في وحدته وتروض جسمه وترفع قدره عن نية البطالة اليد " وغيار العمل خير من زعفران العطله " . ولعلّ النرس ورتوا حب الصناعات فنسلك فيهم لانهم من اصل آري يجمعون والكسوينين في جرثومة واحدة كما يقول الباحثون في اصول الشعوب

ألا وان الصناعات ليست كما يعتقدونها في بلادنا من أشربت قلوبهم مقت العمل وربوا في مهاد الاتكال والكسل . فقد مارسها كبار رجال الخليقة وما تقزوا منها وهم ينزعون الى اسمي المطالب وينشدون اشرف الغايات . فقد كان نوح نجاراً ومومي راعياً ومحمد تاجراً واصحابه كانوا يتاجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم وكان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان بزّازين وعمرو بن العاص جزازاً وسعد بن ابي وقاص يبوي النبال وابو حنيفة النعمان خزاناً يبيع الخبز وابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية كان على غناه يجلب المواشي الى الكوفة والثعالي صاحب البيضة كان فزاه يخطط جلود الثعالب والحريري صاحب المقامات كان يعمل الحرير ويبيعه وابن حوقل الجغرافي كان تاجراً وياتوت الحموي الجغرافي اشتغل بالتاجر وابو بكر التفال الفقيه المروزي كان ابتداءه اشتغاله بالعلم على كبر السن بعد ما اتى شيبته في عمل الاقفال وابو منصور الجواليقي احد الائمة في فنون الادب نسب الى الجواليقي وبعها وابو اسحق الزجاج النحوي كان زجاجاً . وهكذا لو تقصبت سير المشاركة من قبل تجد في علمهم وامرائهم الفلاح والنساج والحائك والنزاه واخياط والصفار والقصار والمعار والحجار والطار واليطار والدهان والسنان وشلمهم كثير في المغاربة<sup>(١)</sup> فقد كان من الصنّاع طاليس رأس الحكماء السبعة وصولون المؤسس الثاني لاينا وكان افلاطون الحكيم زناً كما يطوف بلاد مصر وصينوزا الفيلسوف اليهودي عاش بصقل زجاجات المناظر ولينيرس النباقي تعلم وهو يعمل في الكافة وشكبير رأس شعراء الانكليز كان بدير الملاعب وداود ريكردو واضع الاقتصاد السياسي كان تاجراً وبيلي الفلكي كان سماراً ويوحنا ستورت ميل الفيلسوف فاحصاً في شركة الهند الشرقية . وتعلم فرغوس الميثة وهو مرتد يجلود الفتم على رؤوس التلال ولملدرس طبقات الارض وهو يعمل في المقالع . وكثيرون من الاحياء ينجرون ويحترفون فان رئيس جمهورية سويسرا يتاجر بالاقشة واللورد روزيري كبير وزراء انكلترا له تجارة واسعة يبيع اللبن واللورد لوندندري يبيع الفحم واللورد هارنجتون يبيع الثار والبقول

لا جرم ان النهوض بالشرق متعذراً لم يسع اليد كبراًوه ومنى فكرت الطبقة العالية فيها

(١) راجع كتاب سرّ النجاح لمرعي منشي المتططف فينبه الغنية من اخبارهم

انتهت اليه حال البلاد يحسن حال الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا ومتى قام في الامة أناس مثل كمال بك وهدايت باشا وغيرهما من الرجال العاملين يرحي للشرق بعض الرجاء ان يلحق بشقيقه الغرب . واليك مثالا من حال هذين الرجلين في العلم والعمل

كمال بك رأس النهضة العثمانية الاخيرة وقائد عصابتها واكبر كاتب وشاعر تركي عرف معنى الوطن والوطنية . ومن جملة ما عمله في احدى نفياته الى جزيرة رودس ان تقرب من بعض معلمي الكتاتيب ووطنق يصلح لم طرق التدريس وبيت الغيرة في قلوبهم وقلوب تلامذتهم من تربية الملكات تربية صحيحة وتلقين العلم النافع ولم تمض سنوات حتى تخرج بفضل نحو ثلاثمائة طالب قاموا بدعوتيه واحتدوا بهديه

وكان من امر هدايت باشا انه مر بجلب علي ما روى فاضل حكيم ذاهبا الى البصرة واليا عليها فلما كان يطوف ازقة الشهباء بصرفاعلا يجمر الطين علي طريقة صعبة لا يحسن بها فوقف قائلا للفاعل ما هكذا يعمل الطين وأشار اليه بكيفية اسهل واحسن فلم يفهمها فلما كان من المشير المشار اليه الا ان خلع حذاءه وسراويله وراح من ساعته يغوص في الطين الى نصفه ليعلم العامل كيف يجبل التراب . وصارت القاعدة التي عملة اياها مطردة الاستعمال عند كل طيانة حلب الى هذا اليوم

فيجتل هذين الرجلين تحيا العلوم والصنائع وترثي البلاد بمادياتها ومضوياتها ومن لنا بانناهم يؤسسون في كل مدينة وبلدة من بلدان المشرق مدرسة او معملا للصناعة والزراعة والتجارة . وبعيد علينا محاكاة سابقينا دفعة واحدة فللكون سنن لا يتعداها وللاارتقاء مدارج لا مناص من الصعود عليها ينبغي لنا ان نهض بانفسنا لا بحكامنا ونسبته بالناجحين ما ساعدت الملكة ونبدأ بالجزئيات لتصل منها الى الكلبيات

والعالم ميدان جهاد لا تنفع فيه الا الحكمة العملية ولا يسبق الا من توفرت لديهم ادوات الكفاح وننت في نفوسهم روح العلم . وكنوز السعادة مرصودة لاهل الجلادة والنجادة وسر التجاح مكتوم في بطون الليالي لا يقضى الا لمن تسعة صدرهم . وعلى نسبة رجال الامة العاملين يحسن حالها في العالمين . فطوبى لمن بورك له بساعات حياته فانفقها في جلب المنافع ودره المضار وعرف ان الوقت نقد عزيز والعمركاز ايريز فضن بهما وسعي في ابقاظ شرقنا من رقدته المزمته وانعاشه من صرعته المخزنة

محمد كرد علي